عمرو بن مسعدة

والفلاح الشبيخ

عمرو بن مسعدة كان كاتبا من كتاب الدولة العباسية أيام الخليفة المأمون ، وكان كاتبا بليغاً جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد ، ولى للمأمون الأعمال الجليلة ، وألحق بذوى المراتب النبيلة وكان أحد أفراد قلائل فى رجال المأمون .

ولعمرو بن مسعدة هذا حكايات منها ماحكاه القاضى التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة .

قال عمرو بن مسعدة : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى اذا نزلت الرقّة قال : ياعمرو ، ما ترى الرّحبة قد احتوى على الأهواز ، وهى سلة الخير وجميعُ المال قبله وطمع فيها ، وكتبُه متصلة بحمليا ، وهو يتعلل ويتربص بى الدوائر ؟ فقلت : أنا أكفى أمير المؤمنين هذا ، وأفقد من يضطره الى حمل ماعليه ، فقال : مايقنعنى هذا ، فقلت : فيأمر أمير المؤمنين بأمره ، فقال : فأخرج اليه بنفسك حتى تدفعه بالحديد ، فتحمله الى بغداد وتقبض على جميع مافى يده من أموالنا ، وتنظر فى أعمالنا وترتب لها عمالا ، فقلت : السمع والطاعة ، فلما كان فى غد دخلت عليه فقال : مافعلت فيما أمرتك به ؟ قلتُ أنا على ذلك ، قال أتريد أن تجىء فى غد مودّعا ؟ قلت : السمع والطاعة ، فلما كان فى غد جئته مودّعا ، قال : أتريد أن تحلف لى أنك لاتقيم ببغداد الا يوماً واحداً ، فاضطربت من ذلك الى أن حضنى واستحلفنى ألا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام ، فخرجت حتى قدمت بغداد ، فلم أقم بها الا ثلاثة أيام وانحدرت فى زلالى أريد البصرة وجعل لى فى الزلالى خبشا واستكثرتُ من الثلج لشدة الحر ، فلما صرت بين جرجان وجبّل سمعت صوتا من الشاطئ يصيح :

يامَلّاح ، فرفعتُ سَجف الزلالى ، واذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافى القدمين خلق القميص ، فقلت للغلام : أجبه ، فأجابه ، فقال ، أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التى ترى ، وقد أحرقنى الشمس وكادت تقلقنى ، وأريد جبل فاحملونى معكم فان الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فشممته وانتهره ، فأدركتنى رقة عليه وقلت : خذوه معنا ،

فتقدمنا الشط وسحنا به وحططناه . فلما صار معنا فى الزلال وانحدرنا تقدم فدفعت اليه قميصا ومنديلا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا وعاد الى الدنيا فحضر وقت الغداء وتقدمت وقلت للغلام : هاته يأكل معنا ؛ فجاء وقعد على الطعام ؛ فأكل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه : فلما رفعت المائدة اردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة فى مجالس الخاصة فلم يفعل ، فغسلت يدى وتنحنحت أن آمر بقيامه ، فقلت : قدموا له الماشت فغسل يده ، وأردت بعدها أن يقوم لأنام فلم يفعل ، فقلت يا شيخ ، أى شىء صناعتك قال حائك أصلحك الله ، فقلت فى نفسى : هذه الحياكة علمته سوء الأدب ، فتناومت عليه ومددت رجلى فقال : قد سألتنى عن صناعتى وأنت أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقلت : أنا جنيت على نفسى هذه الجناية ولا بد من احتمالها ، أتراه الأحمق لا يرى زلالى وظلمانى ونعمتى وأنى مثلى لا يقال له هذا ! فقلت كاتب ، فقال : كاتب كامل أم كاتب ناقص فان الكتاب خمسة ، فأيهم أنت ؟ فورد علىّ قول الحائك موردا عظيما وعممت كلاما أكبرته وكنت متكئا فجلست ، ثم قلت : فصل الخمسة قال :

نعم ، كاتب خراج يحتاج أن يكون عالما بالشروط والطسوت والحساب والمساحة والبثوق والفتوق والرتوق . وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلال والحرام والاحتجام والاجماع والأصول والفروع . وكاتب معونة يحتاج أن يكون عالما بالقصاص والحدود والجراحات والموانبات والسياسات . وكاتب جيش يحتاج أن يكون عالما بحلى الرجال وشيات الدواب ومعرفة الأولية ، وشيئا من العلم بالنسب والحساب . وكاتب رسائل يحتاج أن يكون عالما بالصدور والفصول والأمثلة والايجاز وحسن البلاغة والخط ، قال : فقلت : أى كاتب رسائل ، قال : فأسألك عن بعضها ، قلت : قل ، فقال لى :

أصلحك الله ، لو أن رجلا من اخوانك تزوج أمك فأردت أن تكاتبه مهنئا فكيف كنت تكاتبه ؟ ففكرت فى الحال فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت : ما أرى للمسئلة وجها ، قال : تكتب اليه تعزيه ففكرت فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت : اعفنى ، قال . : قد فعلت ولكنك لست بكاتب رسائل ، قلت : أنا كاتب خراج ، قال : لا بأس ، لو أن أمير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والانصاف وتقفى حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك ، فحلف المساح بالله العظيم لقد انصفوا وما ظلموا ، وحلفت الرعية بالله أنهم لقد جاروا وظلموا ، وقالت الرعية : قف معنا على ما مسحوه وانظر من الصادق ومن الكاذب ، فخرجت لتقف عليه ، فوقفوا على براح شكله قائل قلنا ، كيف كنت تمسحه ؟ قلت : كنت آخذ طوله على انعراجه وعرضه ثم أضربه فى مثله ، قال ، إن

شكل، قال قلنا أن يكون زلويتاه محدودتين وفي تحديده تمويس : قلت ، فأخذ الوسط فأضربه في العرض ، قال : اذاً يثنني عليك العمود : فأسكتني ، فقلت ولست كاتب خراج ، قال : فاذاً ما أنت ؟ قلت : أنا كاتب قاض ، قال : أرأيت لو أن رجلا توفي وخلف امرأتين حاملتين احداهما حرة والأخرى سرية ، فولدت السرية غلاما والحرة جارية ، فعدت الحرة الى ولد السرية فأخذته ، وتركت بدله الجارية فاختصما في ذلك ، فكيف الحكم بينهما ؟ قلت : لا أدري ، قال : فلست بكاتب قاض ، قلت : فأنا كاتب جيش ، فقال : لا بأس ، أرأيت لو أن رجلين جاءا إليك لتحكّمهما وكل واحد منهما اسمه واسم أبيه كاسم الآخر إلا أن أحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق الشفة السفلى ، كيف كنت تحليهما ؟ قال : قلت : فلان الأفلح وفلان الأعلم قال : أن وزنيهما مختلفان وكل واحد منهما يجيء في دعوة الآخر قلت : لا أدري ، قال فلست بكاتب جيش ، قلت : أنا كاتب معونة ، قال : لا نبالي ، لو أن رجلين رفعا اليك قد شج أحدهما الآخر شجة موضحة ، وشج الآخر شجة مأمومة : كيف كنت تفصل بينهما ؟ قلت . لا أدري ، قال . لست اذاً كاتب معونة ، أطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا ، قال . فصغرت نفسي وغاظني . فقلت : قد سألت عن هذه الأمور ويجوز ألا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندي ، فان كنت عالما بالجواب قل ، فقال :

نعم ، أما الذي تزوج أمك فتكتب اليه : أما بعد ، فان الأمور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب ، وقد بلغني تزويج الوالدة خار الله لك في قبضها ، وان القبور أكرم الأزواج وأستر العيوب والسلام

وأما جراح قال قلنا فتمسح العمود حتى إذا صار عددا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة.

وأما الجارية والغلام فيورّث الابنين ، فأيهما كان أخف فالجارية له .

وأما الجنديان اختفا الاعجم ، فان كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الأعلم ، وإذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الأفلح .

وأما صاحب الشجتين فصاحب الموضحة ثلث الدية ، وصاحب المأمومة نصف الدية فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرا في جميعها حاذقا بليغا ، فقلت : ألست زعمت أنك حائك ، فقال : أنا أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة ، وأنشأ يقول :

مامرّ يوسٌ ولا نعيمٌ إلا ولي فيهما نصيبُ
فذقتُ حلوًا وذقت مرًّا كذاك عيشُ الفتى ضُروبُ

نوائب الدهر أدبتني وإنما يؤنبك الأديبُ

قلت : فما الذي بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجلٌ كذابٌ دامت عطلتي ، وكثرت عيالي ، وتواصلت محني ، وقلت حيلتي ، فخرجت أطلب نصرفاً فقطع علي الطريق فصرت كما ترى ، فشبت على وجهي ، فلما لاح لي الزلالي استغثت بك : قلت ، فأني قد خرجت الى متصرف جليل احتاج فيه الى جماعة مثلك ، وقد أمرت لك بخلعة حسنة تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها أمرك ، وتنفق منها على عيالك ، وتقوى نفسك باقيها ، وتسير معي الى على فأوليك أجله ، فقال أحسن الله جزاءك اذاً تجدني بحيث أسرك ، ولا أقوم مقام معتذر أليك ان شاء الله ، وأمرت بتقييضه ما رجعت له قبضه ، وأحضر الى الاهواز معي ، فجعلته المناظر للرجحي والمحاسب له بحضرتي ، والمستخرج لما عليه ، فقام بذلك أحسن قيام وعدلت حاله معي ، وعادت نعمته الى أحسن ما كانت عليه . ؟

عبد الوهاب سليمان غراب
ناظر مدرسة السالمية غربية

• قال جيمس : ان خير قاعدة في التعليم هي أن نفلح الحديد وهو ملتهب وأن نعرف ميل الطفل فنستخدم ما يميل اليه في تعليمه وتهذيبه : فهو مثلا مطبوع على الحركة فمن الواجب أن نجعلها سبيل إدراكه .

• من الواجب جعل بدء التعليم أن ندرس الطفل لنعرف غريزته ومواضع الخير والشر منها لنستطيع اظهار نشاطه الفكري وخلق حب العمل في نفسه وتوجيهه بعد ذلك شطر المثل الأعلى .

• المعلم الحكيم هو الذي يعود أطفاله حب البحث والاستقلال بالحكم مع احترام آراء المخبرين والأخذ بأفكارهم .

الصحة وسجاير شوقي وحافظ

قدم الأستاذ الدكتور امين بك زاده الكيماوي هذه الشهادة
لشركة سجاير ابهجت ومصطفى العزبي